أكرم الناس فعالاً

وجعل الأمير يضرب بكمه ويقول سوقاً إلى أبي الطيب فقال:

[البسيط]

يَـا أَكْـرَمَ الـنَّـاسِ فِـي الْـفَـعَـالِ
وَأَفْـصَـحَ الـنَّـاسِ فِـي الْـمَـقَـالِ(١)
إِنْ قُـلْـتَ فِـي ذَا الْـبَـخُـورِ سَـوْقـاً
فَـهَـكَـذَا قُـلْـتَ فِـي الـنَّـوَالِ(٢)

ذليل من قبل الهجاء

بلغه وهو بدمشق أن إسحاق بن كيغلغ يتوعده في بلاد الروم، فقال:

[الطويل]

أَتَـانِـي كَـلَامُ الْـجَـاهِـلِ ٱبْـنِ كَـيَـغْـلَـغِ
يَـجُـوبُ حُـزُونـاً بَـيْـنَـنَـا وَسُـهُـولَا(٣)
وَلَـوْ لَـمْ يَـكُـنْ بَـيْـنَ ٱبْـنِ صَـفْـرَاءَ حَـائِـلٌ
وَبَـيْـنِـي سِـوَى رُمْـحِـي لَـكَـانَ طَـوِيـلَا(٤)

= من الشرفاء فإنهم بانتسابهم هذا كاذبون، وشرف من ينتسبون إليه لا يزيدهم شرفاً، فهو مشكوك بانتسابه إلى من انتسب إليه؛ وبذلك فإن الشاعر يعرّي الفريقين من فضائلهما.

(١) و (٢) يُخاطب الشاعر ممدوحه، إنه أكرم الناس، وأفعاله تدلّ على ذلك، إنه جواد، شجاع، أصيل النسب، فضلاً عن فصاحة ميّزته عن سائر الناس، وكلمة سوقاً تنمّ عن عادة يتّبعها الممدوح لأنه يقولها دائماً، وذلك في حال دوام عطائه وجوده.

(٣) يجوب: يجول. الحزن: الغليظ من الأرض. إنه التحدّي بين الشاعر وبين إسحاق بن كيغلغ، وهما متباعدان، فسلاح الشاعر في هذه الحالة الهجاء، فابن كيغلغ أحمق غبيّ، يصبّ الشاعر جام غضبه عليه رغم ما يفصل بينهما من أبعاد وآماد.

(٤) صفراء: اسم أم إسحاق. ينسب الشاعر ابن كيغلغ إلى الجبن، يفصل بينهما مسافات شاسعة، وحتى لو كان أمام الشاعر وبينهما مقدار رمح، فإنه لا يجرؤ على مواجهته لجبنه وخِسّة نفسه.

وَإِسْحَاقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ
وَلٰكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلَا[١]
وَلَيْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ
وَلَيْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا[٢]
وَيَكْذِبُ مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ
لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلَا[٣]

لا يحمد السيفُ كلَّ من حمله

وقال يمدح أبا العشائر:

[المنسرح]

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ
أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ[٤]
قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ
وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَهْ[٥]

---

(١) ولشدّة رعبه، فإنه في حال وُجهت إليه إهانة ينطوي على نفسه ويبكي لعجزه عن المجابهة وردّ الإهانة إلى صاحبها، وصاحبها آمن ألّا يُصيبه مكروه من جانب ابن كيغلغ.

(٢) يتعرّض الشاعر إلى عرض ابن كيغلغ، فهو يفتقد إلى ما يعتقد أنه جميل فيصان ويعمل صاحبه على الدفاع عنه، إنه مهدود الأركان كلّ من استطاع أن يسطو عليه أفلح في مسعاه وبقي عرضه يرسف في وهدة الوحل.

(٣) ينسب الشاعر إلى مهجوه الكذب، فما وجهه إليه لا يُعتبر في نظره كذباً، فهو لم يُذلّه، ذلك أنه أصلاً ذليل حقير لا ينفع لشيء ولا قيمة لمدعاه بأن الشاعر قد عمل على إذلاله وتحقيره.

(٤) و (٥) يبدأ الشاعر قصيدته المدحيّة بمطلع غزلي. الربع: المنزل. الطلل: ما بقي من آثار الديار. تلفت: هلكت. العذلة، الواحد عذول: اللائمون. يُخاطب الشاعر الأحبّة أنهم ليسوا أول من أمات تلك الديار برحيلهم عنها، إنها حياة الصحراء؛ فقد فرضت على ساكنيها لقسوتها وجبروتها أن يرحلوا عنها طلباً للحياة والاستمرار، ولم تكن الديار وحيدة بما فعلت فقد هلك كثيرون من العشاق بسبب فراق الأحبة لتلك الديار، واللوم يصبّه العاذلون للعاشقين محذّرين من الوقوع صرعى ضحية الأحباب.